

## من رسالة جاحظية في تفضيل البطن على الظهر

تحقيق : شارل بلا (Charles Pellat)

يتضمن مخطوط المتحف البريطاني رقم 1129 فيما يشتمل عليه من آثار الجاحظ قطعاً متفرقة من رسالة وجيزة في تفضيل البطن على الظهر قد رأيت أن أنشرها بدون تعليق لوضوحها وسهولتها فان مضمونها يؤكّد ما أبداه أبو عثمان من الآراء في كتابه الموسوم بمفاخرة الجوّاري والغلمان .  
شارل بلا

\*\*\*

عصمنا الله وإيّاك من الشُّبهة وأعاذنا وإيّاك من زَيْغ الهوى ومَضَلَّاتِ  
الْمُنَى ، ووهب لنا ولك تأديباً (1) مُؤدِّياً إلى الزيادة (2) في إحسانه وتوفيقاً  
مُوجباً لرحمته ورضوانه .

وقد كان كتابك - يا ابن أخي وفقك الله - ورد عليّ تَصِفُ فيه  
فَضِيلَةَ الظهور وصفاً يدلّ على شَغَفِكَ بها وَحُبِّكَ إيّاها وَحَنِينِكَ إليها

(1) خط : بأدبنا .

(2) خط : الزيادة المودية .

وإيثارك لها ، وفهمته ؛ فلم تمنع - أعاذ الله من عدَمك - من الإجابة عن كتابك في وقت وُروده إلاّ عوارضُ أشغال مانعة وحوادثُ من التصرف والانتقال من مكان إلى مكان عائقة ؛ ولم آمن ، لو (3) تأخّر الجواب عليك أكثر ممّا تأخّر ، أن يسبق إلى قلبك (\*) أنسي راضٍ (4) باختيارك ومسلمٌ لمذهبك وموافقٌ لك فيه ومساعدٌ (5) لك عليه ومُنقادٌ معك فيما اعتقدت منه ومُجدٌ في طلبه ومحرضٌ (6) عليه ؛ فبادرتُ بكتابي هذا مُسَبِّهاً لك عن سنة رُفدتك وداعياً إلى رُشدك ؛ فإنك تعلم ، وإن كنت لي في مذهبي مخالفاً وفي اعتقادي مبايناً (7) ، أن اجتماع المتباينين فيما يقع بصلاحيهما أولى في حكم العقل وطريق المعرفة ممّا (8) أبادهما وعاد بالضرر في اختيارهما عليهما ؛ وأنا ، وإن كنتُ كشفت لك قِناعَ الخلاف وأبديت (9) مكنون الضمير بالمضادة ، وجاهدتني بنُصرة الرأي والعقل (10) في حبّ الظهور وتلفيق الفضائل لها ، غيرُ مستشعر لليأس (11) من رجعتك ولا شاكٌ في لطائف حكمتك وغواميضِ فِطنتك ، وقد أعلم أن معك - بحمد الله - بصيرةَ المعثرين وتمييزَ الموفقين ، وأنتك إذا أمعنت فكراً وبحثاً ونظراً رجعت إلى أصل قوي الانعقاد (12) والموائقة ولم تتورط (13) في اللجاج فعلَ المعجسين ولم يتداخلك غيرةُ المتحلين ؛ فإننا رأينا قومًا انتحلوا الحكمة وليسوا من

(3) خط : ان لو .

(4) خط : في ارضي .

(5) خط : ماعد .

(6) خط : محرض .

(7) خط : متباينا .

(8) خط : فيما .

(9) خط : او بدات .

(10) خط : العقيد .

(11) خط : للناس .

(12) خط : الانقياد .

(13) خط : يتورط .

أهلها ، بل هم أعلام الدعوى وحلفاءُ الجهالة وأتباع الخطأ وشيعة الضلالة وخول النقص ، الذين قامت عليهم الحُجَّة بما نحلوه أنفسهم من اسمها وسلبوه من فهم عظيم قدرها ومعرفة جليل خَطَرها ، ولم يُجَلِّوا الرِّين عن قلوبهم والصدأ (14) عن أسماعهم بالتنقيير والبحث والتكلف ، ولم ينصّبوا في عقولهم لأنفسهم أصلاً يبنون عليه [ ويعتمدون ] في اعتقادهم عليه ويرجعون عند الحيرة (15) في اختلاف آرائهم إليه ، فضلّوا وأصبح الجهلُ لهم إماماً والسفهاء لهم قادةً وأعلاماً .

ونحن نسأل الله بحوله وطوله ومنه أن لا يجعلك من أهل هذه الصفة وأن يُريكَ الحقَّ حقّاً فتتبعه والباطلَ باطلاً فتجتنبه ، وأن يعُمَّنا ببركة هذا الدعاء وجماعة المسلمين ، وأن يأخذ الخيرُ بنواصينا ويجمع على الهدى قلوبنا ويؤلف فيه ذات بيننا .

فإنَّك - ما علمت ، وأتقَلَّد في ذلك أمانة القول - ممَّن أحبَّ مواقفته ومخالطته وأن يكون (16) في فضله مقدِّماً وعن كلِّ عضيْهة متزَّهاً ؛ وما أعلمُ حالاً أنا عليها في الرغبة لك فيما أرغب لنفسي فيه والسرور بتكامل أحوالك واستواء مذهبك وما أزيّن به من إرشادك ونصيحتك وتسديدك وتوفيقك ، إلاّ وصدق الطوية منِّي فيها أبلغُ من إسهابي في فضل صيفتك ؛ والله تعالى المُعِين والمؤيِّد والموفِّق والمُبْدِع وحده لا شريك له ، والحمد لله كما هو أهله وصلى الله على محمد وآله وسلّم كثيراً .

يا أخي - أرشدك الله - إنك أغرقت في مدح الظَّهر من الجهة التي كان ينبغي لك أن تؤخِّرها ، وآثرتها وهي مخوفة بأن ترفضها ، وما رأينا هلاك الأمم الخالية من قوم لوط وثمود وأشياهم وأتباعهم وحلول

(14) والصدى .

(15) خط : الخبرة .

(16) خط : تكون .

الْخَسْفُ وَالرَّجْفَةُ وَالْآيَاتُ الْمُهَوَّلَاتُ (17) وَالْعَذَابُ الْأَلِيمُ وَالرَّيْحُ الْعَقِيمُ وَالْغَيْسِرُ وَالتَّكْوِينُ وَوَجُوبُ نَارِ السَّعِيرِ إِلَّا بِمَا دَانُوا بِهِ مِنْ اخْتِيَارِ الظُّهُورِ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِي قِصَّةِ لُوطَ (18) : (أَتَيْنَاكَ مِنْ الذُّكْرَانِ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) ؛ فَذَمَّهُمُ اللَّهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - كَمَا تَرَى وَبَلَغَ بِهِمْ فِي ذِكْرِ مَا اسْتَعْظَمَ مِنْ عُنُوتِهِمْ إِلَى غَايَةٍ لَا تُدْرِكُ صِفَتُهَا وَلَا يُوقَفُ عَلَى حَدِّهَا ، مَعَ آيٍ كَثِيرَةٍ قَدْ أُنْزِلَتْ فِيهِمْ وَقِصَصٍ طَوِيلَةٍ قَدْ أَنْبَأَ بِهَا عَنْهُمْ وَرَوَايَاتٍ كَثِيرَةٍ بَأَثَرِهَا فَيَمُنُ كَانَ مِنْ طَبَقَتِهِمْ ؛ وَسَنَأْتِي مِنْهَا بِمَا (19) يَقَعُ بِهِ الْكَفَايَةُ دُونَ اسْتِفْرَاقِ الْجَمِيعِ مِمَّا حَمَلَتْهُ الرِّوَاةُ وَنَقَلَهُ الصَّالِحُونَ .

[ ... ] وَالْحَقُّ يَبَيِّنُ لِمَنْ التَّمَسُّهُ وَالْمُسْتَهْجَ وَاضِحٌ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْلُكَهُ ؛ وَلَيْسَ فِي الْعُنُودِ دَرَكٌ وَلَا مَعَ الْإِغْرَامِ فَلَجٌ ، وَالرَّجُوعُ إِلَى الْحَقِّ خَيْرٌ مِنَ التَّمَادِي فِي الْبَاطِلِ ، وَتَرَكُ الذَّنْبِ أَيْسَرُ مِنَ التَّمَاسِ الْحُجَّةِ ، كَمَا كَانَ غَضُّ الطَّرْفِ أَهْوَنَ مِنَ الْحَيْنِ إِلَى الشَّهْوَةِ ؛ وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيقُ .

[ ... ] نَبْدَأُ الْآنَ بِذِكْرِ مَا خَصَّ اللَّهُ بِهِ الْبَطُونَ مِنَ الْفَضَائِلِ لِيَرْجَعَ رَاجِعٌ وَيُنِيبَ مُنِيبٌ مَفْكُرٌ وَيَنْتَبِهَ رَاقِدٌ وَيُبْصِرَ مُتَحَيِّرٌ وَيَسْتَغْفِرَ مُذْنِبٌ وَيَسْتَقِيلَ مَخْطِئٌ وَيَنْزِعَ مُصْرَ وَيَسْتَقِيمَ عَانِدٌ وَيَتَأَمَّلَ غُصْمٌ وَيُرْشِدَ غَوِيٌّ وَيَعْلَمَ جَاهِلٌ وَيَزِدَادَ عَالِمٌ : قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - فِيمَا وَصَفَ بِهِ النُّحْلَ (20) : (يَخْرِجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) ؛ وَبُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي خَيْرِ بَطُونِ قُرَيْشٍ ؛ وَوَجَدْنَا الْأَغْلَبَ فِي صِفَةِ الرَّجُلِ أَنْ يَقَالَ إِنَّهُ مَعْرُوفٌ بِكَذَا « مَذْخَرَجٌ مِنْ بَطْنِ أُمِّهِ » وَلَا

(17) خط : المتولات .

(18) سورة الشعراء ، 26 : 165-166 .

(19) خط : ما .

(20) سورة النحل ، 69 : 16 .

يقال : « من ظهر أبيه » ؛ ويقال في صفات النساء : « قُبُّ البطونِ نواعم »  
 ويقال : « خُمصانة البطن » ولا يقال : « خُمصانة الظهر » ؛ ويقال : « فلان  
 بطن بالأمور » ولا يقال « ظهر » ؛ ويقال : « بَطانة الرجل وظِهَارته »  
 فيُبدَأُ بالبطانة ؛ وبطن القرطاس خيرٌ من ظهره ، وبطن الصحيفة موضع  
 النفع منها لا ظهرها ، وبطن القلَمِ يُكتب لا بظهره ، وبطن السكِّين  
 يُقطع لا بظهرها ؛ وخلق الله - عزَّ وجلَّ - آدَمَ من طين ورُسُلَه من  
 بطن حَوَّاءَ ؛ ورأينا أكثرَ المنافع من الأغذية في البطن لا في الظهر : فبطون  
 البقرة أطيب من ظهورها ، وبطن الشاة كذلك ؛ ومِن فضل صفات عليٍّ<sup>ؑ</sup>  
 (رضه) أن كان أخصَّ بطنًا (21) ؛ واسمع من غِنائهم :

[ سريع ]

بطني على بطنك يا جاريه<sup>ؑ</sup> لا نَمَطًا نبغي ولا باريه<sup>ؑ</sup>

ولم يقل : « ظهري علي ظهرك » ، فجعل محاسنة البطن للبطن غانياً عن الوطاء  
 كافياً من الغطاء ؛ ولو لم يكن في البطن من الفضيلة إلا أن الوجه الحسن  
 والمنطق الأنيق من حيزه ، وفي الظهر من العيب إلا أن الدُبُر في جانبه ،  
 لكان فيها أوضح الأدلة على كرم البطن ولؤم الظهر ؛ ولم نَرَهُم وصفوا  
 الرجل بالفحولة والشجاعة إلا من تلقائه وبالخنث (22) والأُبنة إلا من ظهره ؛  
 وإذا وصفوا الشجاعة قالوا : « مرَّ فلان قُدُمًا » ، وإذا وصفوا الجَبَان  
 قالوا : « ولَّى مُدْبِرًا » ؛ ولشَتَان [ ما ] بين الوصفين : بين مَنْ يلقى  
 الحرب بوجهه وبين مَنْ يلقاها (23) بقفاه ! وبين الناكح والمنكوح ، والراكب  
 والمركوب ، والفاعل والمفعول ، والآتي والمأتي ، والأسفل والأعلى ،  
 والزائر والمزور ، والقاهر والمقهور !

(21) خط : بطينا ، والبطين ضد الأخصص .

(22) خط : بالخبت .

(23) خط : يلقاه .

ولمّا رأينا الكنوز العادية والذخائر النفيسة والجواهر الثمينة مثل الدرّ الأصفر والياقوت الأحمر والزمرد الأخضر والمِسْك (24) والعَنْبَر (24) والعقيقان واللّجَيْن والزَّيْبَخ والزُّبُق والحديد والبُورقِ والنفطِ والقارِ وصنوفِ الأحجار ، وجميع منافع العالم وأدواتهم وآلاتهم لحربهم وسلمهم وزرعهم وضرعهم ، ومنافعهم ومرافقهم ومصالحهم وسائر ما يأكلونه ويشربونه ويابسونه ويشمونه ويتنفعون برائحته وطعمه ، ودائع في بطون الأرض وأنها (25) تُستنبط منها استنباطاً وتُستخرج منها استخراجاً ، وأنّ على ظهرها الهوامّ القاتلة والسَّباع العادية التي في أصغرها تَلْكَف النفوس ودواعي الفناء وعوارضُ البلاء ، وأنه قلّ ما يمشي على ظهرها من دابةٍ إلّا وهو للمرء عدوٌّ وللموت رسولٌ وعلى الهلكة دليلٌ ، لم تمتنع (26) عقولنا وآراؤنا ومعرفتنا (27) من الاقرار بتفضيل البطن على الظهر في كلّ وقت وعلى كلّ حال .

ومن فضيلة البطن على الظهر أنّ أحداً إن ابتلي فيه بداء (28) كان مستوراً وإن شاء أن يكتمه كتّمه عن أهله ومن لا ينطوي عنه شيءٌ من أمره وغابر دهره ؛ ومن بليّة الظهر أنه إذا كان (\*) فيه داءٌ (29) ظَهَرَ وبان ، مثل الجَرَب والسَّلْع (30) والخنازير (31) وما أشبهها ممّا سلمت منه البطون وجُعِلَ خاصّاً في الظهور .

(24) يعلم الجاحظ أنّ المسك والعنبر لا يخرجان من بطن الأرض !

(25) خط : وإنما .

(26) خط : يمتنع ، تركيب الجملة : ولما رأينا الكنوز ... وجميع منافع العالم ... ومنافعهم .. ودائع ... وأنها تستنبط ... وأن على ظهرها ... وأنه قل ... لم تمتنع عقولنا .

(27) خط : وآراؤنا معرفتنا .

(28) خط : بداءه ان .

(29) خط : ذا .

(30) السلعة ضرب من الخراج في العنق (scrofula)

(31) الخنازير غدد تحدث في العنق (écronelles)

وفضّل الله تعالى البطون بأن جعل إتيان النساء وطَلَب الولد والتماس  
الكثرة مباحاً من تلقائها (32)، محرّماً في المحاش من ورائها (33)، لأنه حرام  
على الأمة إتيان النساء في أدبارهنّ بما جاء في الحديث عن الصادق صلى الله  
عليه وسلم : « لا تأتوا النساء في محاشهنّ » (34) .

وقد ترى ببطانة الثوب تقوم بنفسها ولا ترى الظهارة تستغني ؛ وجعل  
الله تعالى البطن وعاءً لخير خلقه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم جعل أولّ  
دلائل نبوته أن أهبط إليه ملكاً حين أُنْفِع (35) وقد (36) تدرّج مع غلمان الحيّ  
في هوازن وهو مسترضع في بني سعد ، حتّى (37) شقّ عن بطنه ثم استخرج  
قلبه فحشي نوراً ثم ختم بخاتم النبوة ؛ ولم يكن ذلك من قبيل الظهر .

[...] ومما فضّلت به البطون أن لحم السرة من الشاة أطيب اللحم ،  
ولحم السرة من السمك لموصوف (38) ، وسرة حمار الوحش شفاءٌ يُتداوى  
بها ؛ ومن سرة الظباء يُستخرج المسك ؛ وهذا كله خاصّ بالبطون (39) ،  
ليس للظهور منه شيء .

وبدأ الله - عزّ وجلّ - في ذكر الفواحش بما ظهر منها ولم يبدأه بما  
بطن ، فقال (40) : (إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا  
بَطَّنَ) ، فجعله ابتداءً بالذمّ ؛ والظهر في أكثر أحواله سَمَج ، والبطن  
في أكثر أحواله حسن ؛ والظهر في كلّ الأوقات وحشة ووحش ، والبطن

(32) كذا ، والضمير عائد إلى النساء .

(33) كذا ، والضمير عائد إلى النساء .

(34) راجع لسان العرب (حشش) .

(35) خط : ايقع .

(36) خط : وهو مع .

(37) خط : حين .

(38) خط : الموصوف .

(39) خط : للبطون .

(40) سورة الاعراف ، 7 : 33 .

في كلّ الأوقات سَكَنَ وأنْسَ ؛ ولم تَرَهُم حين بالغوا في صفات النساء بدؤوا في ذكرها إلاّ من جهة البطن ، فقالوا : « مُدْمَجَة الخَصَر » ، « لذيذة العناق » ، « طيّبة النكهة » ، « حلوة العينين » ، « ساحرة الطّرف » ، « كأن سُرَّتْهَا مُدْهِنٌ » ، و« كأن فاها خاتم » ، و« كأن ثدييها حُقّان » ، و« كأن عنقها إبريق فيضة » ؛ وليس للظهور في شيء من تلك الصفات حظّ .

وأنتى نبلغ في صفة البطون وإن أسهنا ، وكم عسى أن نُحصيَ من معائب (41) الظهور وإن اجتهدنا وبالغنا؟ ألا ترى أن حدّ الزاني ثمانون جلدّة ما لم يكن مُحَصَّنًا ، وحدّ اللوطي أن يُحرق (42) ، وكلاهما فجور ورجاسة وإثم ونجاسة ؟ إلاّ أن أيسر المكروهين أحقّ بأن يميل إليه من ابتلي ، وخير الشرّين أحسن في الوصف من شرّ الشرّين ؛ ولو أنّا رأينا رجلاً في سوق من أسواق المسلمين يقبّل امرأة ، فسألناه عن ذلك فقال : « امرأتي » وسألوها فقالت : « زوجي » ، لدّرّأنا عنهما الحدّ لأنّ هذا حكم الإسلام ؛ ولو رأينا يقبّل غلاماً لأدّبناه وحسّناه لأن الحكم في هذا غير الحكم في ذاك ؛ ألا ترى أنّه ليس يمتنع في العقول والمعرفة أن يقبّل الرجل في حبّ ما ملكت يمينه حتّى يقبّلها في الملاء كما يقبّلها في الخلاء ؛ يصدّق ذلك حديث ابن عمّسّر : « وقعت في يدي جارية يوم جكولاء (43) كأن عنقها إبريق فيضة ، فما صبرت حتّى قبلتها والناس ينظرون » .

[...] وقد رابنا منك أيّها الرجل إفراطك في وصف فضيلة الظهور وفي محلّ الريبة وقعت لأنّا رؤينا عن عمّسّر أنّه قال : « من أظهر لنا خيرا ظننّا به خيراً ، ومن أظهر لنا شراً ظننّا به شراً » ؛ وإنما يصف فضل الظهور

(41) كذا ، وقد أراد الجاحظ : محاسن الظهور .

(42) لست أدري من أين وقع للجاحظ أن اللوطي يحرق ، وحده أن يرجم .

(43) خط : حلولا .



مَنْ كَانَ مُغْرَمًا بِحَبِّ الظَّهْرِ وَإِلَى رُكُوبِهِ صَبًا (44) وَبِالنُّومِ عَلَيْهِ مُسْتَهْتَرًا  
وَبِالْوَلُوعِ بِطَلْبِهِ مُوَكَّلًا ، وَمَنْ كَانَ لِلْحَلَالِ مَبَانِيًا وَلِسَبِيلِهِ مَفَارِقًا وَلَأَهْلِهِ  
قَالِيًا وَلِلْحَرَامِ مَعَاوِدًا وَبِحَبْلِهِ مُسْتَمْسِكًا وَإِلَى قَرْفِهِ (45) دَاعِيًا وَلَأَهْلِهِ مُوَالِيًا ؛  
وَقَدْ اضْطَرَرَّتْنَا بِتَصْيِيرِكَ الْمَفْضُولِ فَاضِلًا وَالْعَامِّ خَاصًّا وَالْخَسِيسِ نَفِيسًا  
وَالْمَحْمُودِ مَذْمُومًا وَالْمَعْرُوفِ مَنكَرًا وَالْمُؤَخَّرِ مَقْدَمًا وَالْمُقَدَّمِ مُؤَخَّرًا  
وَالْحَلَالِ حَرَامًا وَالْحَرَامِ حَلَالًا وَالْبِدْعَةَ سُنَّةً وَالسُّنَّةَ بَدْعًا وَالْحَظَرَ إِطْلَاقًا  
وَالْإِطْلَاقَ حَظَرًا (46) وَالْحَقِيقَةَ شَبْهَةً وَالشَّبْهَةَ حَقِيقَةً وَالشَّيْنَ زِينًا وَالزَّيْنَ  
شَيْنًا وَالزَّجَرَ (47) أَمْرًا وَالْأَمَرَ زَجْرًا وَالْوَهْمَ أَصْلًا وَالْأَصْلَ وَهْمًا وَالْعِلْمَ  
جَهْلًا وَالْجَهْلَ عِلْمًا ، إِلَى أَنْ أَدْخَلْنَا عَلَيْكَ الظَّنَّ وَالْحَقْنَكَ التَّهْمَةَ وَنَسَبْنَاكَ  
إِلَى غَيْرِ أَصْلِكَ وَنَحَلْنَاكَ غَيْرَ عَقِيدَتِكَ وَقَضَيْنَا عَلَيْكَ بِغَيْرِ مَذْهَبِكَ ، وَيَسَدَّاكَ  
أَوْ كَتَمْنَا وَفُوكَ (48) نَفْخُ ؛ فَلَا يُبْعَدِ اللَّهُ غَيْرَكَ !

أَوْجَدْنَا أَيُّهَا الضَّالُّ الْمُضِلَّ ، الْمَغْلُوبَ عَلَى رَأْيِهِ ، الْمَسْلُوبَ فَهْمُهُ ،  
الْمَوْلَى عَلَى تَمْيِيزِهِ ، النَّاكِصَ عَلَى عَقْبِهِ فِي اخْتِيَارِ الْمَوَافِقِ لِأَصْلِ عَقْدِهِ ،  
الْمُسْدِرُ بَعْدَ الْإِقْبَالِ فِي مَعْرِفَتِهِ ، السَّاقِطُ بَعْدَ الْهَدْيِ (49) فِي وَرْطَتِهِ ، الْمُتَحَلِّي  
مِنْ فَهْمِهِ ، الْغَنِيِّ عَنْ إِفْهَامِهِ ، الْمَضِيعُ لِحُكْمَتِهِ ، الْمَنْزُوعُ عَقْلُهُ ، الْمَخْتَلِسُ  
لِسُبِّهِ ، الْمُسْتَطَارُ جَنَانُهُ ، الْمَعْدُومُ بَيَانُهُ فِي الظَّهْرِ ، بَعْدَ الْفَضَائِلِ الَّتِي أَوْجَدْنَا كُهَا  
فِي الْبَطْنِ إِمَّا قِيَاسًا وَإِمَّا إِخْبَارًا وَإِمَّا ضَرُورَةً وَإِمَّا اخْتِبَارًا وَإِمَّا اكْتِسَابًا  
أَوْ فِي كِتَابٍ مَنْزِلٍ أَوْ سُنَّةٍ مَأْثُورَةٍ أَوْ عَادَةٍ مَحْمُودَةٍ أَوْ صَالِحٍ عَلَى خَيْرٍ ،  
أَمْ (50) هَلْ لَكَ فِي مَقَالَاتِكَ مِنْ إِمَامٍ تَأْتِمُّ بِهِ أَوْ أَسَاطِيزٍ تَقْتَفِي أَثَرَهُ وَتَهْتَدِي  
بِهُدَاهُ أَوْ تَسْلُكُ سُنَّتَهُ ؟

(44) كَذَا فِي الْأَصْلِ مُشَدَّدًا ، وَهِيَ الصَّوَابُ .

(45) خَطٌّ : قَرْبُهُ .

(46) خَطٌّ : خَطَرًا .

(47) خَطٌّ : وَالزَّاجِرُ .

(48) خَطٌّ : وَقَالَكَ .

(49) خَطٌّ : الْهَوَى .

(50) تَرْكِيبُ الْجُمْلَةِ : أَوْجَدْنَا ... أَمْ ؛ وَلَعَلَّ كَلِمَةَ سَقَطَتْ بَعْدَ « أَوْجَدْنَا » أَوْ أَرَادَ بِذَلِكَ :  
أَصْبَحْنَا وَبَلَّغْنَا الْغُرْصَ .

[...] وقد حضتني عليك عند انتهائي إلى هذا الموضع رقة وتداخلتني  
 لك رحمة ووجدت لك بقية في نفسي لأنه إنما يرحم أهل البلاء ، والحمد  
 لله الذي عافانا مما ابتلاك به وفضلنا على كثير من خلقه تفضيلاً ! فرأيت أن  
 أختتم بأبسط الدعاء لك كتابي وأن أحرز به أجري وثوابي ، ورجوت  
 أن تسيب (51) وترجع بعد الجحاح واللجاج ، فإن للجواد استقلالاً (52)  
 بعد الكبوة وللشجاع كربة بعد الكشافة وللحليم عطفة بعد النبوة ؛ وأنا  
 أقول : جعلنا الله وإياك ممن أبصر رُشدَه وعرف حظَه وآثر الإنصاف  
 واستعمله ورفض الهوى واطرحه ، فان الله تعالى لم يتبل بالهوى إلا من  
 أضله ولم يبعد إلا من استبعده !

\*\*\*

(51) خط : تسيب .

(52) الاستقلال : الارتفاع والنهوض .